

أنا وأنت على الطريق

الأم ومراحل المراهقة عند الأولاد

هل لديك أولاد مراهقون يا سيدتي؟ كيف تتعاملين معهم؟ هل تمرين بفترة صعبة معهم أنت ووالدهم؟ تعالي معي اليوم نلقي الأضواء على هذه المرحلة الهامة في حياة الأولاد وكيف ينبغي على الأهل تحمّلهم عند مرورهم بهذه المرحلة.

يميل معظم الناس للتفكير بأن المراهقة مرحلة على الأهل تحمّلها مع أطفالهم، ولكن في الحقيقة هناك ثلاث مراحل على الأقل على الأهل تحمّلها. المراهقة المبكرة والوسطى والمتأخرة. ولكنها في الوقت نفسه ثلاث مراحل من النمو والاكتشاف لكل من الأهل والأولاد.

فهناك أولاً المراهقة المبكرة بين عمر ١١ و ١٤ سنة تقريباً. ورغم اعتقادك يا سيدتي أن طفلك لا يزال صغيراً فإنه يمر بتغييرات كبيرة ومهمة جداً. ففي هذا العمر يتأرجح المراهق بين رغبته في أن يعامل كراشد وبين رغبته في أن يهتم به الأهل في الوقت نفسه مما يجعل الأمر صعباً ومربكاً على الأهل. وبإمكاننا إطلاق إسم مرحلة حب الشباب على هذه الفترة من المراهقة، ففي هذه الفترة يشعر المراهق بضعف الثقة فيما يتعلق بمظهره الخارجي والتغييرات التي تطرأ عليه. ويعتقد بأن الجميع ينظر إليه، ويصعب على الأهل إقناعه بغير ذلك. أما مرحلة المراهقة الوسطى فهي تمتد بين عمر ١٥ و ١٧ سنة تقريباً. أهم سمات هذه المرحلة شعور المراهق بالاستقلال وفرض شخصيته الخاصة. وبسبب حاجتهم الماسة لإثبات أنفسهم يصبح المراهقون أكثر تصادماً ونزاعاً ضمن العائلة. فيرفضون الانصياع لأفكار وقيم وقوانين الأهل ويصرون على فعل ما يحلو لهم. ويجرب الكثير من المراهقين الأمور الممنوعة أو غير المحبذة عند الأهل، كالتدخين وشرب الكحول والسهر خارج المنزل لساعات متأخرة، ومصادقة الأشخاص المشبوهين كنوع من التحدي للأهل وفرض رأيهم الخاص.

ويصبح المراهق أكثر مجازفة ومخاطرة ويعتمد على الأصدقاء للحصول على النصيحة والدعم وليس على الأهل. وعلى الأهل في هذه المرحلة إظهار تفهم شديد لأطفالهم لكي لا يخسروا ثقتهم وبنفس الوقت أن يضعوا قوانين واضحة لتصرفاتهم وتعاملاتهم مع الآخرين ومع العائلة. وبما أن معظم التغييرات الجسدية قد حدثت في مرحلة المراهقة المبكرة، يصبح المراهق أقل اهتماماً بمظهره الخارجي وأكثر اهتماماً بجاذبيته للجنس الآخر. ويستمر النمو الفكري للمراهق في هذه المرحلة ويصبح أكثر قدرة على

التفكير بشكل موضوعي والتخطيط للمستقبل، كما بإمكان المراهق أن يضع نفسه مكان الآخر فيصبح لديه القدرة على أن يتعاطف مع الآخرين في هذه المرحلة.

أما مرحلة المراهقة المتأخرة فتمتد تقريبا بين أعمار ١٨ و ٢١ سنة وفي مجتمعنا قد تمتد هذه المرحلة فترة أطول، نظرا لاعتماد الأولاد على الأهل في الشؤون المادية والدراسية إلى ما بعد التخرج ومرحلة العمل أيضا. ويستطيع معظم الشباب في هذه المرحلة أن يعملوا بطريقة مستقلة رغم انهماكهم بقضايا تتعلق برسم معالم هويتهم وشخصيتهم. ولأنهم يشعرون بثقة أكبر تجاه قراراتهم وشخصيتهم يعود الكثير منهم لطلب النصيحة والإرشاد من الأهل. ويأتي هذا التغيير في التصرف مفاجأة سارة للأهل، إذ يعتقد الكثير منهم أن النزاع والصراع أمر محتتم، قد لا ينتهي أبداً.

لا تفشلي يا سيدتي. فالنزاع والصراع بينك وبين الأولاد وهم في مراحل المراهقة المتعددة هو أمر طبيعي وسينتهي مع انتهاء المرحلة. فأنت لست الوحيدة التي تقومين بالاهتمام بأولادك وتنشئتهم التنشئة الصالحة في هذه المرحلة. اسمعي سيدتي ماذا يعلمنا الإنجيل المقدس في هذا الموضوع عن العلاقة بين الأهل والأولاد يقول على لسان بولس أحد رسل المسيحية الأوائل ما يلي:

"أيها الأولاد أطيعوا والديكم في الرب لأن هذا حق. أكرم أباك وأمك التي هي أول وصية بوعد، لكي يكون لكم خير وتكونوا طوال الأعمار على الأرض. وأنتم أيها الآباء لا تغيظوا أولادكم بل ربوهم بتأديب الرب وإنذاره." لا يتكلم من ناحية واجب الأولاد تجاه والديهم فحسب بل يتكلم أيضا عن الآباء بمعنى الأبوين ، بأن لا يغيظوا أولادهم بل أن يربوهم بتأديب الرب وإنذاره. أتعلمين يا سيدتي لماذا يبنّهن الله تعالى خالقنا بواسطة روحه القدوس أن لا نغيظ أولادنا بل نربيهم بخوفه وإنذاره؟ لأنه يعلم أننا إذا أغظنا نحن أولادنا فإنهم سيفشلون، وستنقطع العلاقة أو الشركة بيننا وبينهم، ويصبحون بالتالي منغلقيين على أنفسهم ولا يبوحون بما يمرّون به. إذن، وحتى لا يفشلوا أو يبتعدوا عنا كأهلين ، علينا أن نربحهم بالكلام اللين واللطيف، وليس عن طريق القساوة والعنف والقوة. ثم هل تعلمين يا سيدتي أن إقامة جسور مفتوحة بينك وبين الأولاد المراهقين يجعلك مرجعا دائما لهم بمشاكلهم وبكل ما يواجهون؟ فحافظي على الجسور مفتوحة دائما معهم. ثم هل تعلمين أن مخافة الرب هي رأس الحكمة؟ أي عندما تزرعين فيهم مخافة الرب ومهابته واحترامه، والخضوع له تعالى ، فإن هذا عينه هو رأس الحكمة أي قمتها؟ فمخافة الرب عندما تُزرع في قلب الأولاد يشبون عندها وهم يريدون أن يفعلوا ما يرضي الله في حياتهم أيضاً. أليس كذلك؟
